الإعجاز البلاغي للتقديم والتأخير في القرآن الكريم

Rhetorical miraclesof Advancement and delay In the Holy Qur'an

تاريخ الاستلام : 2019/07/18 ؛ تاريخ القبول : 2020/04/04

شهرزاد بهناس*

كلية الأدب و اللغات
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1،
قسنطينة، الجزائر-

ملخص

يُمثِّل التقديم في بناء الجملة،ركيزة أساسية في بلاغتها وتحقيق مراداتها، وإصابة غرض المتكلم، لتحقيق التواصل بين هو بين المخاطَب، ولا يتم ذلك إلا لتحقيق أغراض بلاغية وأسلوبية.

والقرآن الكريم معين لا ينضب، وجنَّة لا ينقضي ثمرها، بل يظل ملء السمع والبصر، يملك الفؤاد، ويستولى على العقل والوجدان، وقد بلغ في هذا الفن- كما في غيره - الذِّروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير، بحيث تستقِّر في مكانها المناسب.

ولأسلوب التقديم والتأخير، سمة أسلوبية بالغة الأثر في معرفة خواص تراكيب الكلام، وكشف خبايا النفس، والنفوذ إلى أعماقها، وتصوير شخصيات المشهد في صورة حضورية، تبيّن ما عليها من فرح أو ترح أو اضطراب أو توتر أو إيمان أو نفاق أو نحو ذلك...

وقد استطاع أن يخاطِب العقل والوجدان في آن معاً، بما يبثُّه من معان وآداب رفيعة، تنشِّط الخيال، وتحرّك الأذهان والعقول، فكان له القدرة على حمل السامع أو القارئ على المشاركة في تفعيل الموقف القرآني.

والألفاظ القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة، فإذا نظرنا إلى دلالة الكلمة المُختارة في ظلِّ تقديمها، أدّى ذلك إلى إبراز المعنى في قوّة وجلاء، وساعد على تصوير المشهد في تدفّق وحياة.

والإعجاز البلاغي لأسلوب التقديم والتأخير، إعجاز فيَّاض، لا يقع في حصر.. و لا يقلُّ دوره في آيات الأحكام، عن دوره في مشاهد الآخرة، وسبيل التعرُّض لفيوضاته وتلمُّس أسراره و دلالاته المعنوية، يبقى سياقا يانعا مورق الثمار والأزهار ..

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ التقديم والتأخير؛ الإعجاز البلاغي؛ علم المعاني؛ سياق الكلام؛ دلالة الكلمة.

Abstract

The method of advancement in the syntax, Represents an essential element of the communication and the realization of its objectives, as well as the injury of the speaker's purpose, in order to achieve communication between him and the interlocutor, and this is only for the purposes of rhetorical and methodological purposes.

The Holy Qur'an is an inexhaustible source, a paradise whose fruits do not expire, but the fullness of hearing and sight remains with the heart and takes over the mind and conscience.

In this art, as in others, it has reached the climax of the words that it deserves to express.

And the method of advancement and delay, has a stylistic feature very influential in the knowledge of the properties of the structures of speech, and reveals the secrets of oneself, and drowns in its depths, and portray the characters of the scene in the form of the presence of showing the joy or pleasure or disorder or tension or faith or hypocrisy or other...

He was able to address the heart and the Conscience at the same time, with its high meanings and literature, which activate the imagination and move the mind, it has the ability to carry the listener or reader to participate in activating the Quranic position.

And the words of the Qur'an are significant in the context of the sentence, if we look at the significance of the word chosen under their advancement, this led to highlight the meaning of strength and clarity, and helped to portray the scene in the flow and life.

And the miracles of the method of advancement and delay, is an excess Miracle, cannot be restrict.. And his role in the verses of the judgments, is not less of his role in the scenes of the Hereafter, and the way to expose their flood and touch their secrets and connotations, remains a context mellowleafy of fruits and flowers..

Keywords: The Holy Qur'an;Advancement and delay; Miracles of the rhetorical; Semantics; Context; Word connotation.

Résumé

La méthode de l'avancement dans la syntaxe, Représente un élément essentiel de la communication et de la réalisation de ses objectifs, ainsi que l'atteinte à l'intention du locuteur, afin de parvenir à une communication entre lui et l'interlocuteur, et ce n'est qu'à pour des fins rhétoriques et méthodologiques.

Le Saint Coran est une source inépuisable, un paradis dont les fruits n'expirent pas, mais la plénitude de l'ouïe et de la vue reste avec le cœur et prend en charge l'esprit et la conscience, et il a atteint Dans cet art, comme dans d'autres, le point culminant des mots qu'il mérite d'exprimer.

Et la méthode l'avancement et de retardement, a une caractéristique stylistique très influente dans la connaissance des propriétés des structures de la parole, et révèle les secrets de soi, et se noyé dans ses profondeurs, et dépeint les personnages de la scène sous la forme de la présence de montrer la joie ou le plaisir ou le désordre ou la tension ou la foi ou l'hypocrisie ou autre...

Il était capable de s'adresser à la fois au cœur et à la conscience, avec ses hautes significations et sa littérature, qui activent l'imagination et émeuvent l'esprit, il a la capacité de transporter l'auditeur ou le lecteur pour participer à l'activation de la position coranique.

Et les mots du Coran sont significatifs dans le contexte de la phrase, si nous examinons la signification du mot choisi Sous leur avancement, cela a permis de mettre en évidence le sens de la force et de la clarté et a contribué à dépeindre la scène dans le flux et la vie.

Et le miracle de la méthode de avancement et de retardement, est un miracle excessif, ne peuvent pas être restreints.. Et son rôle dans les versets des jugements n'est pas moins de son rôle dans les scènes de l'au-delà, et le moyen de dévoiler leur flot et touchent leurs secrets et leurs connotations, reste un contexte moelleux feuillu de fruits et de fleurs ..

Mots clés: Le Saint Coran; Avancement et retard ;Les miracles de la rhétorique; la sémantique; Le contexte; Connotation des mot.

* Corresponding author, e-mail: chehrazed.behnas@gmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2020.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شرَّف الله - تبارك وتعالى - اللغة العربية، وخصَّها بالعديد من الميزات، فهي لغة خاتمة الكتب السماوية .. وهي إلى ذلك تمتاز بتنظيم تركيبي جميل ولطيف، جعل نظامها اللغوي فريدا؛ سواء من حيث لفظها، أو أداؤها المعنى المُراد والمقصود بعينه.

وقد تناولها الباحثون بالكثير من التفصيل، واختلفت درجة معالجاتهم؛ فتناولها النحوي، والبلاغي والفيلسوف، والمنطقي،وغيرهم...كلٌّمن زاوية رؤيته، والأهداف التيسطَّرها، ورمى إلى تحقيقها.

ويعدُّ مبحث التقديم والتأخير من المباحث الأساسية في علم البلاغة العربية؛ لِما له من وثيق الصلة بقصد المتكلِم، وحال المخاطَب، والمقام الذي يّلقى فيه الكلام، وهي العناصر التي يُعْنى بها علم المعاني، في سعيه لوضع الضوابط التي توصل المعنى من المتكلم إلى المخاطب سليما خاليا من اللبس.

وحين بدأت هذا الموضوع، كنت أعلم أنَّ عددا من الباحثين قد سبقوني إلى تناوله، لكنَّ رغبتي في معاودة النظر فيه، دفعتني إلى المضيّ قدماً جديدا،لإدراك مفهومه، وحالات وقوعه في كتاب الله؛فهل كان مجرَّد عنصر إيقاع له في القلوب أحسن موقع؟ وإلاَّ فما دوره في إيضاح ما أُشكل من معاني بعض آيات النظم القرآني الكريم؟وبيان أسرارها البلاغية و لطائفها البيانية؟

إنَّ الجملة العربية إمَّا جملة فعلية وإمَّا جملة اسمية؛ فإن كانت فعلية تَقدَّم الفعل، وإن كانت اسمية واستوى طرفا التركيب وكانا معرَّفين معا، فقد اختُلِف في أيُّهُما يمكن أن يتصدَّر الجملة؛ فأمَّا النحويون فقد تركوا للمتكلِّم الخيار، وأجازوا أن يكون كلٌّا منهما مبتدأً والثاني خبراً، ونظر البلاغيون إلى حال المخاطَب، فصار يُعرف التقديم والتأخير على أنَّه مُخالفة عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق، فيتقدَّم ما الأصل فيه أن يتأخر، ويتأخَّر ما الأصل فيه أن يتقدَّم، واهتموا بهذا الجانب، وأولوه عناية وحرصا كبيرين.

كما يختلف الحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين، إذا كان الترتيب لازما أو غير لازم؛ فهو في الترتيب اللازم (الرتبة المحفوظة) حاكم صناعي نحوي، أما في غير اللازم (الرتبة غير المحفوظة)فيكاد يكون شيئًا غيرَ محدَّد.

ولعبد القاهر الجرجاني (ت 1078م) في كتابه (دلائل الإعجاز)، كلام مطوَّل في التقديم والتأخير، يفرّق فيه بين دلالة البدء بالاسم أوالفعل، وأنَّ الفرق بينهما بيّن، إلى الحد الذي لا يستطيع أن يُنكره أحد،وأنَّ البدء بالفعل في الجملة يختلف عنه في الاسم:

"النظم، إنَّما هو توخي معاني النحو وأحكامه، وهو متَّصل بالمعنى اتصالاً وثيقاً؛ فليست الميزة فيه من حيث هو لفظ وحروف، ولكن من حيث هو نظم وتأليف، وفي معناه من حيث إنَّ هذا النظم إنَّما هو نظم تابع للمعاني ومقتف أثرها ودال عليها، وأنَّه لولا معناه لم يكن شيئاً مذكوراً، ولذلك فالسجع والتجنيس لولا أنَّهما يتبعان المعنى لم يكن فيهما غناء، والتقديم والتأخير والحذف والفصل والقصر ووجوه الخبر والحال ومواقعهما، إنَّ كل هذه إنَّما تتبع المعنى، وتتغير تبعاً لتغيره."[1]

واشتمل(مفتاح العلوم) للسكاكي (ت 1229م)، على ثلاثة مباحث أساسية هي: علم الصرف، وعلم النحو، وعلم المعاني والبيان.

وكان منهجه في ضبط مسائل كل علم، ثمرة لنظره في تعريفه، وقد عرَّف المعاني فقال:

"اعلم أنَّ علم المعاني هو تتبُّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتَّصل بها من الاستحسان وغيره، ليُحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره."[2]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونراه يخرج إلى أحوال المسند إليه في مبحث مفصَّل كبير؛ يتحدث فيه عن حذف المسند إليه، وذكره، وتعريفه، ووصفه، وتنكيره، وتقديمه على المسند وتأخيره عنه، وتخصيصه، وقصره، والمقتضيات البلاغية لذلك كله.

وينتقل إلى المسند وتصوير الاعتبارات في كيفياته؛ محذوفاً ومذكوراً، ومفردا وجملة فعلية أو اسمية، أو منكراً أو معرَّفاً، أو مقيَّداً بقيد، أو مقدَّما أو مؤخَّرا:

"أما حذفه، فإما لأن حالاً سدَّ مسده، وإما قصدا للاختصار والاحتراز عن العبث، نحو قوله تعالى في الآية الثانية والسبعين من سورة الحج:

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾

إذا حملته على تقدير النار شر من ذلكم.

ويُذكر، إمَّا لأنَّه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، وإما لزيادة التقرير أو التعريض بغباوة السامع، أو قصد التعجب من المسند إليه بذكره، كما إذا قلت: (زيد يقاوم الأسد)، مع دلالة قرائن الأحوال، أو لتعظيمه أو إهانته أو غير ذلك مما يصلح للقصد إليه. ويكون المسند اسما للدلالة على الثبوت، كقولك: (زيد عالم). ويكون فعلا للدلالة على التجدُّد والاستمرار، كقولك: (زيد علم). ويقيَّد بالمفعولات والحال والتمييز والشرط لتربية الفائدة."[3]

وعليه، فإنَّ ذكر المسند أو المسند إليه أو إسقاط أحدهما من العبارة يكون لأسباب بلاغية، هي:

- أنّه الأصل ولا مقتضى للحذف، فإذا حذف ذهب المعنى.
- ضعف التعويل على القرينة؛ وذلك إذا ذكر المسند إليه فى الكلام وطال عهد السامع به، أو ذكر معه كلام فى شأن غيره مما يوقع فى اللبس إن لم يذكر.
- التنبيه على غباوة السامع حتى أنّه لا يفهم إلَّا بالتصريح.
- زيادة الإيضاح والتقرير، مثل قوله تعالى في الآية الخامسة من سورة البقرة:

﴿أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

ففى تَكرار اسم الاشارة زيادة إيضاح وتقرير لتميزهم على غيرهم.

- إظهار التعظيم بالذكر، ومثال ذلك تعظيم اسم (القهَّار) في قولنا: «القهَّار يصون عباده» أو إظهار الإهانة: ومثال ذلك: «اللعين إبليس».
- التبرُّك باسمه: مثل: «محمد رسول الله خير الخلق».
- الاستلذاذ بذكره: مثل: «الله خالق كلِّ شيء ورازق كل حي».
- بَسْط الكلام حيث يقصد الإصغاء، كقوله تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - في الآية الثامنة عشر من سورة طه:

﴿هِيَ عَصايَ﴾، ولذلك زاد على الجواب: ﴿أتوكَّأ عليها﴾.

- ورأى (السكاكى) أنّ المسند إليه يُذكر لكون الخبر عام النسبة إلى كل مسند إليه،[4] كقول (أبى ذؤيب الهذلى):

النَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ[5]

ولكنَّ (القزوينى) (ت 1318م)، يدعو إلى إعادة النظر في ذلك:

"لأنّه إن قامت قرينة تدل عليه إن حذف، فعموم الخبر وإرادة تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره، وإلّا فيكون ذكره واجبا.»[6]

ويهدف التقديم والتأخير إلى تحصيل جمال التعبير والصياغة قبل كل شيء، ويُعدُّمظهرا من مظاهر شجاعة العربية:

"لإقدامه على مخالفة قرينة من قرائن المعنى من غير خشية لُبس، اعتماداً على قرائن أخرى، ووصولا بالعبارة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمال."[7]

وهو ما سبق إلى تأكيده الإمام اللغوي (عبد القاهر الجرجاني)، بقوله:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"هذا باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطُف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك، أنْ قدَّم فيه شيء وحوِّل اللفظ من مكان إلى مكان."[8]

وهذا لأنَّ الجملة العربية، ككلام مركَّب تركيبا إسناديا (مسند، مسند إليه)؛[9] باعتبارهما الركنين الأساسيين والدعامتين الأصليتين لها،ربما تقدَّم فيها المسند على المسند إليه لأغراض بلاغيه وجمالية، تتَّضح فيها الأساليب وتظهر المواهب.

وتقديم الشيء نوعان:

الأول، أنَّ الشيء المقدَّم يبقى على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه؛ كخبر المبتدأ إذا قدَّمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدَّمته على الفاعل، فيبقى الخبر خبراً حتى بعد تقدُّمه على المبتدأ، ويبقى المفعول مفعولاً حتى بعد تقدُّمه على الفاعل، كقولنا: "ضرب عمراً زيد"، فقمنا بتقديم المفعول (عمراً)، ولكنَّ حكمها الإعرابي لم يتغير.

والثاني، نقل الشيء المتقدِّم من حكم إلى حكم، ونجعل له باباً غير بابه، وإعراباً غير إعرابه؛ فنجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فنقدِّم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا، فنقول مرة: "زيد المنطلق"، وأخرى: "المنطلق زيد"، فزيد في الأولى مبتدأ، وفي الثانية خبر.

التقديم والتأخير في القرآن الكريم:

القرآن الكريم، كتاب الله، وهو أعظم أنيس وخير جليس، شغَل العالم منذ نزوله إلى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن أسراره وروعة بيانه، أنَّنا كلَّما أبحرنا فيه ازددنا تعمُّقا وشوقا، وكلَّما نهلنا من فيضه ومعينه الصَّافي ازددنا به تعلُّقا وتشبُّثا.

هو مصباح الظلام، ومَنهل البيان، الذي وقف فحول العرب وفصحاؤهم أمامه عاجزين مشدوهين، وهم الذين طالما خاضوا معارك البلاغة والبيان، وتباروا في فنون القول وأسراره، حتى أسروا القلوب والأذهان بسحر بيانهم وتبيينهم، وهاهم أولاء يقفون أمام البيان الأعظم مأسورين مشدوهين عاجزين!!

وقد جاء أسلوب القرآن الكريم، في الغاية العظمى من البلاغة والفصاحة، فتوافر العلماء على البحث في أسراره واستخراج دُرره، فصنَّف فيه الزملكاني، والفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والإمام الرازي، وعبد القاهر الجرجاني، وغيرهم...

والواقع أن المصنَّفات الأولى في الاعجاز، على اختلاف مذاهب أصحابها، جاءت أشبه بمباحث بلاغية مما قدَّروا أن إعجاز القرآن الكريم يُعرف بها؛ فأخذت رسائل الخطابي السني، والرماني المعتزلي، والباقلاني الأشعري، مكانها في المكتبة البلاغية.

وبعد أن استقلَّت البلاغة بالتأليف والتصنيف، وُجِّهت لخدمة الإعجاز البلاغي؛ فيضع (الجرجاني) كتابه في النظم والبلاغة (دلائل الإعجاز)، ويضع (أبو هلال العسكري) كتابه (علم الفصاحة والبلاغة)، ويقرِّر (الزمخشري) في (الكشاف) أنَّه لابدَّ من علم البيان والمعاني لإدراك معجزة هذا الكتاب، وجرى المتأخِّرون على أن يَجمعوا في الاعجاز كل ما قاله السلف من وجوه، كصنيع الشيخ (محمد عبده) في تفسيره الذكر الحكيم.[10]

والقرآن الكريم ،كلام الله المعجز وبيانه المُحكم، فما كان لكلمة أن تتقدَّم من مكانها دون غاية معنوية أو هدف دلالي، والشأن أنَّه ينبغي أن يُعرف موضع ما قدِّم فيه مثل هذا المعنى، ويُفسَّر وجه العناية فيه، كأن يكون سياق الكلام مثلا متدرِّجاً حسب:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- القِدم والأوليّة في الوجود:

من بلاغة القرآن الكريم، أنَّه يَستعمل التقديم والتأخير، للترتيب الزمني للأحداث؛ فيُرتِّب الكلمات على أساس الأقدم ثم الذي يليه، بدليل قوله تعالى في الآية السابعة والعشرين من سورة الحجر:

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾

فالآية الكريمة تدلُّ على أنَّ خلْق الجنّ قد سبق خلق الإنس؛ أي أنَّ الله خلق أبو الجان، وهو إبليس، من قَبْلِ خلق آدم- عليه السلام - أبو البشر، من نار شديدة الحرارة.

وبدأ تبارك وتعالى بالسِّنة، وهي النعاس الذي يسبق النوم،[11] في الآية الخامسة والخمسين بعد المائتين من سورة البقرة:

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

وقدَّم -عزَّ وجل- عاد على ثمود لأقدميتها،[12] فقال في الآية الثامنة والثلاثين من سورة العنكبوت:

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾

ومنها ترتيب الأسماء في الآية السادسة والعشرين من سورة الحديد:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾

فقدَّم تعالى الأسبق على المتأخر.

ومن ذلك تقديم اللّيل على النّهار والظلمات على النور؛ فقبْل خلق الأجرام كانت الظُّلمة، كما أنَّ الشَّمس أسبق إلى الوجود من القمر،[13] أي أنَّ الله تعالى قدخلق السموات قبل الأرض والظلمة قبل النور،[14] قال تعالى في الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأنبياء:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

وقوله تعالى في الآية الأولى من سورة الأنعام:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾

ووجه الإعجاز في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، يكمن في ثلاث إشارات:

الأولى: أنّ الظلمات والنور هما نتيجة خلق السماء والأرض، ويُثبت هذه الحقيقة القرآنية حقائق علمية حديثة؛ إذ يؤكِّد العلماء اليوم، أنهم تمكَّنوا عن طريق تكبير مدى التلسكوب الفضائي، من رؤية ضوء تولَّد عن مجرات تشكَّلت قبل 13 بليون سنة، أي عندما كان عمر الكون 550 مليون سنة، في وقت ما يزال الكون يمر في عصر الظلام الكوني.[15]

ما يعني أن القرآن الكريم كان دقيقا جداً في تعابيره وفي ترتيب كلماته، وكيف أنَّه لم يقل: (خَلَق الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)، بل قال: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾؛ لأنَّ الظلام والنور هما نتيجة لخلق السماوات والأرض؛ فالله تعالى خلق مادة السماء والأرض، ومَّرت هذه المادة بعصور مظلمة، ثم انبثق الضوء، وبالتالي فإنَّ كلمة (جعل) هي الكلمة المناسبة في هذا المقام من الناحية العلمية.[16]

الثانية: أنَّ الظلام وُجد قبل النور، وهذا صحيح علميا، حيث أظهرت المكتشفات العلمية الجديدة أن الكون الذي يحدَّد عمره بـ 13.7 بليون سنة[17]، قد مرَّ في بداياته بعد الانفجار العظيم بعصور مظلمة استمرت لملايين السنين! ثم بدأت المجرات والنجوم بالتشكُّل منهية عصر الظلمات.[18]

الثالثة: تشير الآية الكريمة من خلال كلمة (ظلمات) بصيغة الجمع وكلمة (نور) بصيغة المفرد، إلى أنَّ الظلام أكبر بكثير من النور في الكون، وهذا ما يؤكِّده العلماء اليوم، فيثبتون أن الكون يحوي أكثر من 96 % مادة مظلمة وطاقة مظلمة![19] في إشارة إلى المجال المرئي والمجالات غير المرئية للموجات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكهرومغناطيسية؛ وذلك أنَّ المجال المرئي في الكون الذي خلقه الله –عزَّ وجل- بقدرته وعلمه، لا يشكِّل إلاَّ نسبة ضئيلة جداً من المجال غير المرئي الشاسع جدا، والذي يظهر على شكل لون أسود.

وليس في وسعنا إلاَّ أن نقول كما قال الحق - سبحانه وتعالى - في الآية الثالثة والتسعين من سورة النمل:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

ومنه تقديم العزيز على الحكيم؛ فلأنه عزّ حكم،[20] يقول تعالى في الآية الأولى من سورة الحشر:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وهُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

ولأنه سبحانه وتعالى قويٌّ فقد غلب في الآية الأربعين من سورة الحج:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

والعِزُّ، خلاف الذُّلّ، يقول (ابن منظور) (ت1311م):

"من أسمائه عز وجل المُعِزُّ، وهو الذي يَهَبُ العِزَّلمن يشاء من عباده. والعِزُّ في الأَصل: القوَّة والشدَّة والغلبة. والعِزُّ والعِزَّة:الرفعة والامتناع." [21]

فهو - سبحانه - القويُّ، وهو الممتنع فلا يغلبه شيء، وهو الذي ليس كمثله شيء، وإن لم تجتمع هذه المعاني الثلاث، لم يطلَق عليه اسم العزيز؛ فالشمس لا نظير لها، والنفع منها عظيم، والحاجة شديدة اليها، ولكن لا توصف بالعزَّة؛ لأنه لا يصعب الوصول الي مشاهدتها.[22]

وإذاً، هي صفة اختَّص الله - سبحانه وتعالى - بها لنفسه، لا يشاركه فيها أحد؛ قال تعالى في الآية الثامنة من سورة المنافقين:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

فالعزَّة هنا لله تحقيقا، ولرسوله فضلا، وللمؤمنين ببركة إيمانهم برسول الله عليه الصلاة والسلام.[23]

وعليه، فإن القوَّة تُستعمل في القدرة على كلِّ مراد له، والعزَّة كمعنى للغالب لكلِّ معاند، يقول تعالى في الآية الخامسة والعشرين من سورة الحديد:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

والآية الحادية والعشرين من سورة المجادلة:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

وكذلك في الآية الخامسة والعشرين من سورة الأحزاب:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾

والقويُّ، اسم من أسمائه تعالى، أي الموصوف بالقوةَّ، يقول (ابن القيّم) (ت 1350م):[24]

وَهُوَ القَوِيُّ لَهُ القِوَى جَمِيعًا تَعَالَى رَب ذِي الأَكْوَانِ وَالأَزْمَانِ[25]

والقويُّ عند(محمد بن جرير الطبري) (ت 923م):

"الذي لا يغلبه غالب ولا يرد قضاءه راد، يَنفذ أمره، ويمضي قضاؤه في خلقه، شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه."[26]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو عند (الخطابي) (ت 998م):
"الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، والمخلوق وإن وُصف بالقوَّة فإن قوَّته متناهية وعن بعض الأمور قاصرة."[27]
ويبيّن (مُحَمّد بن صَالِح بن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن عبد الرَّحْمن العُثَيْمِين) (ت 2001م)، الفرق بين القوة والقدرة:
"القدرة يقابلها العجز، والقوَّة يقابلها الضعف، والفرق بينهما أن القدرة يوصف بها ذو الشعور، والقوَّة يوصف بها ذو الشعور وغيره.ثانياً: أن القوَّة أخص، فكل قويٍّ من ذي الشعور قادر، وليس كل قادر قوّيًا."[28]
فيُخبر -سبحانه وتعالى- في الآية الكريمة السابقة،كيف أنَّه أرسل على الأحزاب جنودا إلهيه،وسلّط عليهم ريحا فرَّقت شملهم،فردَّهم عن المدينة خائبين؛ لم ينالوا خيرا في الدنيا من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحمَّلوه من الآثام، في معاداة ومبارزة المسلمين و الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهمِّهم بقتله،[29]ولهذا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده.))[30]
وأنَّه تعالى أعزَّ -بحوله وقوَّته- الإسلام وأهله، فلم يحتاجوا إلى منازلتهم، وكفاهم غزو المشركين عليهم بعدها:" قال محمد بن إسحاق: لمَّا انصرف أهل الخندق، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ((لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنَّكم تغزونهم.))[31]

2- التقديم بحسب الفضل والشرف:

قدَّم -سبحانه وتعالى- ذاته بالذكر،[32] في الآية التاسعة والستين من سورة النساء، ثم قدَّم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم؛ وبدأ بالأفضلين وهم الأنبياء، ثم ذكر بعدهم الصدِّيقين، فالشهداء، فالصالحين:
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾
ولا يلزم من المعيَّة المذكورة في الآية الكريمة، أن يكون الجميع في درجة واحدة في الجنَّة، وإنَّما المراد اشتراكهم جميعا في دخول الجنَّة والتنعُّم بنعيمها، وإن كان لكل واحد من المؤمنين درجته التي أنزله الله
إياها حسب عمله، يقول (الحافظ ابن حجر) (ت 1449م):
"المعيَّة تحصل بمجرَّدِ الاجتماعِ في شيءٍ ما، ولا تلزَم فِي جمِيعِ الأَشياء، فإذا اتَّفق أنَّ الجميع دخلوا الجنَّةَ، صدقت المعيَّةُ، وإن تفاوتت الدَّرجات."[33]
وكذلك قال (ابن عاشور)(ت 1973م):
"المعيَّة معيَّةُ المنزلة في الجنَّةِ، وَإن كانت الدَّرجات متفاوتةً."[34]
وعن أَبي سعيدٍ الخدريّ - رضِيَ اللَّه عنه- عن النَّبِيّ - صلَّى الله علَيه وَسلَّم - قال: "إنّ أَهل الجنَّة يتَراءَوْنَ أَهْلَ الغرف من فوقهِم، كما يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرّيَّ الغَابِرَ في الأُفُق، من المَشْرِقِ أَو المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ ما بينَهُم، قالوا: يا رسول اللَّه، تلك منازِلُ الأَنْبيَاء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى، والَّذي
نفسي بيده، رجالٌ آمَنُوا باللَّه وصَدَّقُوا المُرْسلين." [35]
ولا شك أنَّ الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين، هؤلاء جميعا من أصناف المؤمنين، وأولياء الله الصالحين، وأنَّ الجميع من أهل طاعة الله- تبارك وتعالى - وطاعة رسوله– صلى الله عليه وسلم - إلاَّ أن نفس الإيمان يتفاوت، وتتفاوت درجته بحسب ما في قلوب العباد، ويتفاوت أهله أيضا بحسب أعمالهم؛ وقد جعل الله لكل شيء قدرا، تصديقا لقوله تعالى في الآية الثالثة والخمسين بعد المائتين من سورة البقرة:
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾
والآية الخامسة والخمسين من سورة الإسراء:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾
فإذا كان التفاضل حاصلا في درجات الرُّسل المكرَّمين، فكيف بغيرهم من عوام المؤمنين والصالحين؟!
وقد قدَّم - تبارك تعالى - محمد -صلى الله عليه وسلم- بين النبيّين؛ فهو أفضلهم[36] في الآية السابعة من سورة الأحزاب:
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾
والظاهر أنَّ السمع بالنسبة إلى تَلَقِي الرسالة، وفَهْمها، واستيعاب مقاصدها وتبليغها، أفضل، قال تعالى في الآية الثانية من سورة الإنسان:
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
وقال – عزَّ وجل - في الآية السادسة والثلاثين من سورة الإسراء:
﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾
وقال –سبحانه وتعالى- في الآية الثالثة والسبعين من سورة الفرقان:
﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾
واهتمام القرآن الكريم الكثير بالسمع، وتقديمه على باقي الحواس، وامتنانه به على الإنسان، له دلالته، وهذه بعض ملامح الإعجاز في ذلك:
لقد جعل القرآن العظيم السمع في مقدِّمة وسائل العلم والمعرفة؛ فقدَّمه في الآية الثامنة والسبعين من سورة النحل على البصر والعقل، قال تعالى:
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
فتقديم السمع في الآية الكريمة، يتوافق مع أهميته في عملية التعلُّم؛ وكم رأينا من كفيف وصل إلى أعلى مراتب العلم، أمَّا من وُلد أصَمًّا لا يسمع، فإنَّه لا يتعلم الكلام، ومِن ثَمَّ لا يكاد يتعلَّم شيئًا يُذكر، والدليل على ذلك قولهم، أن الله تعالى لم يبعث نبياً أصمًّا.[37]
وفعلا، فقد بدأت الدراسات الحديثة تركِّز على البداية المبكرة جدًّا في تعليم الطفل، حتى قبل ولادته في بعض الدراسات، ذلك أنَّ المنطقة السمعية المخيَّة تنمو وتتطوَّر وتتكامل وظائفها قبل مثيلتها البصرية، فيكون التعلُّم في المرحلة الأولى من حياة الطفل معتمدًا على المعلومات المسموعة، حيث إنَّه يَفهم الكلام الذي يسمعه ويُدركه ويعيه ثم يحاكيه، فيتعلَّم الكلام في وقت مبكر جدًّا بالنسبة لتعلُّمه القراءة والكتابة.[38]
وقد كان من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يؤذِّن في أذن الوليد عند ولادته:
" عن أبى رافع، أنَّهرأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -أَذَّنَ في أُذُنِ الحسن بن علي حين ولدته فاطمة رضي الله عنها."[39]
فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا، كما يُلقَن كلمة التوحيد عند خروجه منها.[40]
واكتفت بعض الآيات بذكر السمع والعقل عند الحديث عن وسائل الهداية؛ مثل قوله تعالى في الآية الرابعة والأربعين من سورة الفرقان:
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلً﴾
وفي ذلك ما يدلُّ على أنَّ السمع أهمُّ وأخصُّ من البصر، وأنَّ الأعمى يمكن أن يفهم ويعي الرسالة، ويمكن إيصال التبليغ اليه أسهل من الأصم.
واكتفى البعض الآخر من الآيات بذكر السمع فقط؛ مثل قوله -جلَّ وعلا- في الآية السادسة والثلاثين من سورة الأنعام:
﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقدِّم ما قدَّم الله ذكره في كتابه، فكان من دعائه- صلى الله عليه وسلم-:
((اللهم متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا)).[41]
ومع كون المعافاة في البدن تتضمَّن المعافاة في السمع والبصر، إلاَّ أنَّ تخصيص السمع والبصر بالذكر بعد التعميم، يدل على الأهمية الزائدة لهاتين الحاستين.[42]
وقد امتنَّ الله - تبارك وتعالى- على عباده بنعمة السمع بعد نعمة الخلق في الآية الثالثة والعشرين من سورة الملك؛ لعلَّهم يشكرون نعمةَ ربِّهم ولا يكفرونها:
﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾
ويبقى الشرف العظيم للأذن حين وصف الله -تبارك وتعالى- نبيَّه -صلى الله عليه وسلم- بأُذن الخير في الآية الواحدة والستين من سورة التوبة:
﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
هو أذن الخير للناس يستمع إلى الوحي، ثم يُبلغه، لكم، وفيه خيرُكم وصلاحكم، وأذن خير يستمع إليكم في أدب، ولا يجابهكم بنفاقكم ولا يرميكم بخداعكم ولا يأخذكم بريائكم، ويؤمن للمؤمنين فيطمئن إليهم ويثق بهم، لأنَّه يعلم منهم صدق الإيمان الذي يعصمهم من الكذب والالتواء والرياء.[43]
كما قد يكون تقديم السمع على البصر، إلى أنَّ مدى السمع أقل من مدى الرؤية فيوحي بالقرب؛ إذ أنَّ من يسمعك يكون عادة أقرب، وذلك بخلاف من يراك -وإن كان الله لا يندُّ عن سمعه شيء- ومنها قوله تعالى في الآية السادسة والأربعين من سورة طه:
﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾

3- التقديم بحسب الرتبة:

لا يتناول البلاغي في دارسته للتقديم والتأخير، التركيب نفسه، أو ما يسمى في النحو باسم الرتبة المحفوظة، لأن هذه الرتبة المحفوظة لو اختلَّت لاختلَّ التركيب؛ كتقديم حرف الجر على المجرور، والعطف على المعطوف...الخ، إنَّما يتناول دارسة أسلوب التركيب، وهي الرتب الغير المحفوظة في النحو؛ نحو رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول...الخ.
قال تعالى في الآية السابعة والثمانين من سورة البقرة:
﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾
فتقدَّم المفعول به جوازًا، من أجل التوكيد، بالرغم من عدم وجود ما يوجب التقديم في الجملة.
وتقدَّم الخبر في الآية الرابعة والعشرين من سورة محمد، حتى لا يعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة، قال تعالى:
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾
والمراد:
"أَمْ على قلوب هؤلاء وقلوب من كانوا بهذه الصفة أقفالها، وقال – عزَّ وجل -: ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾، لأنَّه لو قال: (على قلوبهم)، لم يدخل قلبُ غيرهم في هذه الجملة."[44]
كما يترتَّب الكلام من الخاص القريب إلى العام البعيد، قال -تعالى- في سورة القلم:
﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)﴾
وهو ترتيب بلاغي معنوي؛ بدأ فيه - عزَّ وجل- بالحلاَّف، كثير الحلف المستهين بعظمة الله، فإنَّه لا يكون كذلك إلاّ وهو كذَّاب، ولا يكون كذَّاب إلاَّ وهو خسيس النفس:
"فكيف يستطيع شخص مؤمن استخدام أسماء الله ليحلف بها كَذبا، واستخدامها في كل وقت دون الشعور بمدى قداستها، إلاَّ من هو ضعيف القلب ومنافق."[45]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم أكمل الله وصف ذلك الشخص بالهمَّاز، المغتاب الناس بالطعن والعيب، ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء، وهي المشي بالنميمة بين الناس وإيقاع الفتنة بينهم،(46) ثم انتقل إلى مرتبتين أشدُّ في الإيذاء ممَّا تقدَّمها، وهما على التوالي، منع الخير بالبخل والإمساك عن الإنفاق في سبيل الله،والتجاوز في الظلم والعدوان:

"وأمَّا تقدُّم(همَّاز) على(مشَّاء بنميم) فبالرتبة، لأنَّ المشي مرتَّب على القعود في المكان، والهمَّاز هو العيَّاب، وذلك لا يفتقر إلى حركة وانتقال من موضعه بخلاف النميمة. كما أنَّ هَمْزه عيْب للمهموز وإزراء به، وإظهار لفساد حاله في نفسه، فإنَّ ما قاله يختص بالمهموز لا يتعدَّاه إلى غيره، والمشي بالنميمة يتعداه إلى من ينم عنده، فهو ضرر متعدٍّ. وأمَّا تقدُّم(مناَّع للخير) على(معتد) فبالرتبة أيضاً، لأن المناَّع يمنع خير نفسه، والمعتدي يعتدي على غيره."(47)

وهذا يُشبه الفعل اللازم والمتعدِّي؛ فاللازم يلزم مكانه، والمتعدِّي يتعدَّى إلى غير مكانه، كما أنَّ الفاعل أخص للفعل من المفعول لأنَّه مصدر الفعل.

وقدَّم تعالى في الآية السابعة والثلاثين بعد المائة من سورة البقرة، السميع على العليم فقال –عزَّ و جلَّ-:

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

وجعلوا من تَقَدُّم السمع على العلم، أن ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم، فهو خبر يتضمَّن التخويف والتهديد، لتعلُّقه بما يقرُب كالأصوات وهمس الحركات:

"فإنَّ من سَمِع حِسَّك وخَفِيَّ صَوْتِك، أقرب إليك في العادة ممن يقال لك: إنَّه يعلم -وإن كان علمه تعالى متعلِّقاً بما ظهر وبطن وواقعاً على ما قرب وشطن-."(48)

وقد يكون لأنَّ السمع من وسائل العلم، فهو يسبقه، قال تعالى في الآية الحادية والستين من سورة الأنفال:

﴿وَإِنْ جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

والسميع، اسم من أسمائه تعالى أيضا، بمعنى السامع، إلاَّ أنَّه أبلغ في الصفة، كعليم من عالم، وقدير من قادر، ومنها قوله –عزَّ وجل- في الآية العشرين من سورة غافر:

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

وأيضا في الآية الأولى من سورة الإسراء:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

وسمعه تعالى نوعان:

"أحدهما، سمعه لجميع الأصوات الظاهرة و الباطنة، الخفيَّة والجليَّة، وإحاطته التامَّة بها؛ سواءٌ عنده السر والنجوى، الجهر والخفوت.

الثاني: سمعه دعوات عباده وتضرُّعَهم إليه؛ لا يشغله نداء عن نداء، ولا يمنعه إجابة دعاء عن إجابة دعاء.

ومنه قوله تعالى في الآية التاسعة والثلاثين من سورة إبراهيم:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾

وقول المصلي: (سمع الله لمن حمده)؛ أي استجاب."(49)

وجعلوا تقديمه -عزَّ وجل- المغفرة على الرحمة، في الآية المائة من سورة النساء؛ أنَّ المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنَّما تأخَّرت في الآية الثانية من سورة سبأ، لأن الرحمة قد شملت الجميع، وخَصَّت المغفرة البعض، والعموم قبل الخصوص بالرتبة،(50) وهذا من تقديم العام على الخاص في الكلام، قال تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾

وإيضاح ذلك أن جميع الخلائق؛ من الإنس والجنّ والحيوان وغيرهم... محتاجة إلى رحمته تعالى، لتحيا وتعيش وتتراحم، وأمَّا المغفرة فتخص المكلَّفين،ويُجمع الفقهاء على أنَّ العقل هو مناطُ التَّكْلِيف فِي الإنسان؛ فلا تجبُ عبادةٌ من صلاة أَو صيام أَو حج أو جهاد أو غيرها على من لا عقل له، كالمجنون، وإن كان مُسلمًا بالغًا،(51) ويذهب جمهورهم إلى أَنَّ مناط التَّكليف في الإنسانِ هو البلوغ، وليس التَّمْييز، وأنَّ الصَّبيَّ المميّز لا يجبُ عليه شيءٌ من الواجبات، ولا يعاقَب بترك شيءٍ منها، أو بفعل شيء من المحرَّمات في الآخرة،(52) لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم:

"رُفع القلم عن ثلاثة: عن النَّائم حتَّى يستيقظ، وعن الصَّبيِّ حتَّى يحتلِم، وعن المجنون حتَّى يُفيق."(53)

ويذهب شيخ الإسلام (ابن تيمية) (ت 1328م)، إلى أنَّ الكتاب والسُّنَّةَ دلّاَ على أَنَّ الله لا يعَذِّب أحدًا إلَّا بعد إبْلاغ الرِّسالة:

"... فمنْ لم تبلغهُ جملةً لم يعَذِّبْه رأسًا، ومنْ بلغتْه جملةً دون بعض التَّفصيلِ: لم يعذِّبْه إلَّا على إنكار ما قامت عليه الحجَّةُ الرسالية. وذلك مثل قوله تعالىفي الآية الخامسة والستين بعد المائة من سورة النساء:﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾،وقولهفي الآية الثلاثين بعد المائة من سورة الأنعام: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾،وقولهفي الآية السابعة والثلاثين من سورة فاطر:﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾،وَقولهفي الآية الخامسة عشر من سورة الإسراء: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾."(54)

ومن التقديم بالرتبة أيضاً، قوله تعالى في سورة التوبة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35)﴾

فقيل أنَّه بدأ تعالى ذكره، بالجباه ثم الجُنوب ثم الظهور:

"لأنَّهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمَّهم وإياه مجلس ازوَّروا عنه وتوَّلوا بأركانهم، وولُّوه ظهورهم.(55)

وقدَّم- تبارك و تعالى - حب الأموال على الأولاد في الآية التاسعة من سورة المنافقين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَفَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

وقام بتأخيرهم في الآية الرابعة عشر من سورة آل عمران:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينِ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

فقدَّم –تبارك وتعالى- المال على الأولاد في مواطن الإلهاء للتحذير، وقدَّم الأولاد على الأموال في مواطن الحب، وقدَّم النساء على الأولاد والأموال في مواطن الشهوات.(56)

4- التقديم بحسب الكثرة والقلَّة:

قد تُرتَّب المذكورات تدرجيا من القلَّة إلى الكثرة، نحو قوله تعالى في الآية الخامسة والعشرين بعد المائة من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلهذا التدرُّج سببه الذي اقتضاه المقام؛ حيث إنَّ الكلام على بيت الله الحرام:
"قال الكلبي: أمَّا الطائفون: فمن اعتراه من بلد غيره، العاكفون، فأهل البلد، الركع السجود فأهل الصلاة."[57]
وجُمعا جمع تكسير لدلالة ذلك على الحال والتلبُّس بالعبادة والوصف القائم، وذلك لمنزلة الصلاة وشرفها:
"قال العطاء: إذا كان طائفا فهو من الطائفين، وإذا كان جالسا فهو من العاكفين، وإذا كان مصلِّيا فهو من الركع السجود."[58]
ثم إنَّ الطائفينَ هم ألصق المذكورين بالبيت، ثم العاكفين في هذا البيت أو في بيوت الله عموماً، ثم الركَّع السجود الذين يتوجَّهون إلى هذا البيت في كل الأرض.
وقوله تعالى: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾، أي أمرناهما وأوحينا إليهما، أن طهِّرا بيتي من الأرجاس والأنجاس والأوثان:
"قال الكلبي: إنَّ الله تعالى عهِد إلى إبراهيم إذْ بنى الكعبة، أن طهِّره من الأوثان، فلا يُنصب حوله وثن."[59]
وقال (مُجاهِد بْن جَبْر) (ت722م):
" طهِّرا بيتي من الشرك."[60]
ونحوه قوله تعالى في الآية السابعة والسبعين من سورة الحج:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
فبدأ – تبارك وتعالى- بالركوع وهو أقل المذكورات، ثم السجود وهو أكثر؛ وقد يكون ذلك أنَّ لكل ركعة سجدتين، ثم إنَّ كلَّ راكع لا بدَّ أن يسجد، وقد يكون سجود ليس له ركوع، كسجود التلاوة وسجود الشكر، ثم ذكر -عزَّ وجل- عبادة الرَّب وهو أعم، ثم فِعْل الخير.[61]
كما يمكن أن يتدرَّج الكلام من الكثرة إلى القلَّة، ومثال ذلك قوله تعالى في الآية الثالثة والأربعين من سورة آل عمران:
﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾
ففي نظمٌ بديعٌ، وفقهٌ دقيقٌ، بدأ تعالى ذكره بالقنوت، وهو عموم العبادة الخالصة الخاضعة المستديمة لربها:
"القُنوتُ: الإمساكُ عن الكلام، وقيل: الدعاءُ في الصلاة.والقُنُوتُ: الخُشُوعُ والإقرارُ بالعُبودية، والقيامُ بالطاعة التي ليس معها مَعْصِيَةٌ. والقانتُ: المُطيع. وقيل: القانِتُ العابدُ. وحقيقة القانتِ أَنه القائمُ بأَمر الله، ويجوز أَن يقع في سائر الطاعة، لأَنه إِن لم يكن قيامٌ بالرِّجلين، فهو قيام بالشيءِ بالنيَّة."[62]
ثم السجود، وهو أقل وأخص، ثم الركوع، وهو أقل وأخص.[63]
وقد جاء الأمر لمريم – عليها السلام - من الحق -سبحانه وتعالى- أن تركع مع الراكعين؛ لأنَّه أمر عام، يشمل الرجل والمرأة، وليس خاصا بالمرأة حتى يقول – سبحانه وتعالى - (مع الراكعات):
"فإنَّما عبَّر بالسجود عن الصلاة، وأراد صلاتَها في بيتها؛ لأنَّ صلاة المرأة في بيتها أفضلُ من صلاتِها مع قومها، ثمَّ قال -عزَّ وجل- لها: ﴿اركعي مع الراكعين﴾، أي: صلِّي مع المصلِّين في بيت المقدس، ولم يُرد أيضا الركوع وحده دون أجزاء الصلاة، ولكنَّه عبَّر بالركوع عن الصلاة كما تقول: (ركعتُ ركعتين وأربعَ ركعاتٍ)، يريد الصلاةَ لا الركوعَ بمجرَّده، فصارت الآيةُ متضمِّنةً لصلاتين: صلاتها وحدها: عبَّر عنها بالسجود؛ لأنَّ السجود أفضلُ حالات العبد، وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها، ثمَّ صلاتها في المسجد عبَّر عنها بالركوع؛ لأنَّه في الفضل دون السجود، وكذلك صلاتُها مع المصلِّين دون صلاتها وحْدَها في بيتها ومحرابها."[64]
وبدأ تعالى بالكافرين في الآية الثانية من سورة التغابن:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
فالتقديم إنَّما جرى أيضا بحسب الكثرة والقلَّة، في تعاضد فني رفيع مع ما سيأتي من السورة؛ حيث سيبدأ –عزَّ وجل- بالكافرين ثم يذكر بعدها المؤمنين، قال تعالى:
﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)﴾
وقريب من هذا المعنى، قوله تعالى في الآية الثالثة بعد المائة من سورة يوسف:
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾
فهو - سبحانه - البصير بالأشياء كلها؛ ظاهرها وخفيَّها:
"يُبصر خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولا يغيب عنه ما فوق السموات العلا أو ما تحت الثرى"[65]
وقدَّم -عزَّ وجل- الظالم في الآية الثانية والثلاثين من سورة فاطر لكثرته،[66] قال تعالى:
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾
فقدَّم -تبارك وتعالى- الظالم ثم المقتصد ثم السابق، للإيذان بكثرة الفاسقين وغَلَبَتِهم، وأنَّ المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل.[67]
وقد أشار –عزَّ وجل- إلى ندرة وجودهم في سورة الواقعة، فقال:
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10)أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14)﴾
ومنه، تقديم الزانية على الزاني، في الآية الثانية من سورة النور:
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾
والسبب فيه أن الكلام في حكم الزنى، والأصل فيه المرأة، لما يبدو منها من الإيماض و الإطماع والكلام،[68] ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها[69] وأنَّ الزنى فيهَّن أكثر؛ فإنَّ قسما من النساء تحترفن هذه الفعلة الفاحشة.[70]

5- التقديم مراعاة لسياق الكلام:

لا شك أن لسياقات التقديم والتأخير، أثرا مهما في تفسير النصوص وتبيين معانيها، إذ أنَّ تقديم الألفاظ بعضها على بعض، مرتبط بمراعاة مقتضى الحال وسياق القول؛ فما كانت به العناية أكبر والدلالة أظهر، كانت له الأولوية في التقديم.
ويُمثِّل أسلوب القرآن الكريم، الذروة في وضع الألفاظ والتراكيب الوضع الذي يقتضيه السياق، وتستدعيه الدلالة، وتطلبُه المناسبة، في نظرة متناسقة وشاملة لِما يقتضيه القول وسياق التعبير.

ومن دواعي التقديم وسياقاته في القرآن الكريم، مراعاة ذكر الأهل والمقرَّبين بما يتناسب وسياق الآيات؛ فقدّم تبارك وتعالى الابن في سورة المعارج:
﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (10) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ (14)﴾
أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"قال ابن عباس: يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم عن بعض بعد ذلك."[71]

فيودُّ المُذنب والمعتدي يوم القيامة، إذا رأى الأهوال، أن يفتدي من عذاب الله، بولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، وبزوجته وأخيه، ورهطه وعشيرته الأدنون:

"قال الليث: الفصيلة فخذ الرجل من قومه الذين هو منهم، يُقال جاؤوا بفصيلتهم أي بأجمعهم."[72]

وقال ابن الأثير (ت 1210م):

"حكى الهروي: الفصيلة من أقرب عشيرة الإنسان، وأصل الفصيلة قطعة من لحم الفخذ."[73]

وأن يفتدي بأهل الأرض، وأعز ما يجده من المال - ولو بملء الأرض ذهبا - فلا يُقبل منه.[74]

فالمشهد في هذه السورة الكريمة، مشهد عذاب؛ لا يقبل المرء فيه المساومة، ويفدي نفسه بالأقرب إلى قلبه ثم الأبعد؛ ويبدأ ببنيه، ظنًّا منه أنهَّم سيكفونه العذاب الواقع به، ولن يُفلحوا.

ونلاحظ أنَّه لم يذكر –عزَّ وجل- الأم والأب، وهذا لأنه أمر بإكرامهما، فمنع الافتداء بهما من العذاب إكراماً لهما.

أمَّا المقام في سورة عبس، كما سيأتي، فمقام فرار؛ يفرُّ المرء فيه أولاً من الأبعد إلى الأقرب لقلبه، قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36)﴾

وقدَّم – تبارك وتعالى- الجنَّ على الإنس في الآية الثالثة والثلاثين من سورة الرحمن:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

وقدَّم الإنس على الجنِّ في الآية الثامنة والثمانين من سورة الإسراء:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾

ففي الآيتين تحدٍّ، ولكنه قدَّم تعالى الجنَّ على الإنس في الأولى؛ لأنَّ الحديث فيها عن النفاذ من أقطار السموات والأرض، والنفاذ ممَّا يناسب خواصهم وماهية أجسامهم أكثر من الإنس، لتنقُّلهم وسرعة حركتهم الطيفية، وبلوغهم أن يتَّخذوا مقاعد في السماء للاستماع، ويقول تعالى على لسانهم في

الآية التاسعة من سورة الجن:

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾

وقدَّم – تبارك وتعالى- الإنس على الجنِّ في الثانية، لأنَّ مضمون الآية الكريمة، هو التحدّي بالإتيان بمثل القرآن، ولا شك أن مدار التحدّي هو لغة القرآن ونظمه وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته، والمقدَّمون هم أصحاب البلاغة وأعمدة الفصاحة وأساطين البيان من الإنس، وتقديمهم أولى في هذا المجال، بما يتناسب ويتلاءم مع طبيعتهم.

وورد ذكر لفظ التجارة واللهو في نهاية سورة الجمعة؛ مرَّةً بتقديم لفظ التجارة على اللّهو، وتارةً بتقديم لفظ اللّهو على التجارة، قال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)﴾

فمن الطبيعي تقديم التجارة على اللّهو في صدر الآية؛ لأنَّ مقام التشنيع من الله عليهم، يقتضي التدلِّي من الأعلى الى الأدنى؛ فهؤلاء إذا لاح لهم أمر دنيوي يَرجُون نفعه كالتجارة، أعرضوا عمَّا هم فيه من العبادة، وخرجوا للتكسُّب، بل إنَّهم إذا سُنح لهم ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو أقل نفعا من التجارة بكثير وهو اللَّهو، ضربوا صفحا عن العبادة، وطووا عن ذكر الله، غير مستحين من قيامك فيهم.

وأمَّا تقديم اللَّهو على التجارة في آخر الآية، فلأنَّ المقام هناك يقتضي الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى؛ فما عند الله سبحانه وتعالى من الأجر الجزيل والثواب العظيم، خيرٌ من هذا النفع الضئيل الذي حصل لهم من اللَّهو، بل هو خير من ذلك النفع الآخر الذي همُّوا به وجعلوه نصب أعينهم وظنُّوا أنَّه أعلى مطالبهم.

وقدَّم -عزَّ وجل- غضَّ البصر على حِفظ الفرج في الآية الثلاثين من سورة النور:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

والسِّر في تقديم غضُّ البصر على حفظ الفرج؛ فلأنَّ النظر بريد الزنى ورائد الفجور، وهو مقدِّمةٌ للوقوع في المخاطر، ولأنَّ البلوى فيه أشدُّ وأكثر، ولا يكاد يُقدر على الاحتراس منه، وهو الباب الأكبر الذي يوصل إلى القلب.[75]

وبدأ تعالى بالهدف وثنَّى بالوسيلة في الآية الخامسة من سورة الفاتحة:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

فذَكر تعالى الاستعانة بعد العبادة، مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله - تبارك وتعالى- فإنَّه إن لم يُعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي.[76]

وجاء تقديم الوصف (حكيم) على (عليم)، في الآية السادسة من سورة النمل:

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾

وتقدَّم الوصف (عليم) على (حكيم) في الآية السادسة من سورة يوسف، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وتقدَّم الاسم (الحكيم) على (العليم)، في الآية الرابعة والثمانين من سورة الزخرف، قال -عزَّ وجل-:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

وتقدَّم الاسم (العليم) على (الحكيم) في سورة البقرة، فقال تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾

فما السِّر في تقديم الوصف (حكيم) أو الاسم (الحكيم) وتأخيره؟

نفهم من الآيات الكريمة السابقة، أنَّ التقديم يقع تبعاً لمحور السُوَر؛ فمثلا تقدَّم الوصف (حكيم) في سورة النمل، بما يتناسب وحديثها عن حكمة الله -سبحانه وتعالى-في التشريع والتحليل والتحريم.

والحكيم، من أسمائه تعالى، وهو من الحكمة، ولها معانٍ:

"الأوّل: وضع الشيء في محلِّه وموضعه وإتقان العمل، قيل: الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يُحسِن دقائق الصّناعات ويتقنها (حكيم).

الثّاني: الحُكْم، من صفاتهتعالى الحَكَم، وهذا له أصل في اللغة، لأن الحكم هو: المنع والقضاء، وسُمي القاضي حاكما، لأنَّه يمنع كلاًّ من المتخاصمين من الاعتداء، ومنه حَكَمَة اللِّجام.

الثالث: العلم، فالحكمة من العلم، والحكيم: العالم وصاحب الحكمة، وقد حكَم أي: صار حكيما، والحكم: العلم والفقه، قال الله تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾."[77]

وكلُّ هذه المعاني لا شكَّ أنَّها ثابتة لله -تبارك وتعالى - فهو سبحانه الذي له كمال العلم، وإحسان الفعل وإتقانه، والحاكم لا معقّب لحُكمه.

وتناسَب تقديم الوصف (عليم) مع موضوع سورة يوسف؛ فقد اجتبى -سبحانه وتعالى - يوسف -عليه السلام- بعلمه،[78]وهو سبحانه، المحيط علماً بجميع الأشياء؛ ظاهرها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وباطنها، دقيقها وجليلها، أولها وآخرها، فاتحتها وعاقبتها، وجاء على بناء فعيل،للمبالغة في وصفه بكمال العلم.[79]

قال (محمد بن جرير الطبري):

"إنّك أنت يا ربَّنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيوب دون جميع خلقك."[80]

وقال:

"إنَّ الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجنه مما لم تجنه بعد." [81]

وجاء في اللسان:

"فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن من قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها، على أتمِّ الإمكان."[82]

وقال (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) (ت 1956م):

"وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والمُمكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء."[83]

ونظم (ابن القيّم) يقول:

وَهُوَ العَلِيمُ أَحَـــاطَ عِلْمًا بِالذِّي ... فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍ وَمِنْ إِعْـــــلَانِ

وَبِكُلِ شَيْءٍ عِلْمُـــــهُ سُبْحَانَـــــــــهُ فَهُوَ المُحِيطُ وَلَيْـسَ ذَا نِسْيَـــــــانِ

وَكَذَاكَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ غَداً وما ... قَدْ كَـانَ وَالمَوْجُـــــــودُ فِي ذَا الآنِ

وَكَذَاكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْـــ ... ـــفَ يَكُونُ ذَاكَ الأَمْرُ ذَا إِمْكَانِ"[84]

وتقدَّم الوصف (عليم) في سورة البقرة، عندما أخبر - جلَّ ذكره - عن ملائكته بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتنزيهه تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلاَّ بما شاء؛ فعلمه أزلي، وخَبره هو الصدق المحض، وله الحكمة في ذلك والعدل التام، يصيب التقدير ويحسن التدبير، قال تعالى في الآية الخامسة عشر بعد المائة من سورة الأنعام:

﴿وتمَّت كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

ومن عَرَف أن الله عليم بحاله، صبر على بليّته، وشكر على عطيّته، واعتذر عن قبح خطيئته.

وتقدَّم الاسم (العليم) في سورة الزخرف، دلالة على عظمة الله سبحانه وتعالى، وعلوّه على خلقه، وألوهيته لجميع الخلائق كلِّها، وإحاطة علمه وشموله لكلِّ شيء؛ كبيراً كان أو صغيراً، سراً أو علناً، وبيان قدرته على كل شيء، ونفي العجز عنه سبحانه وتعالى، وأنَّه سبحانه إلهُ من في السماء وإلهُ من في الأرض، وكلُّهم خاضعون له، وهو في ذلك كلِّه الحكيم في شرعه وقدره.

ومنه نستنتج، أنَّ هذا التذييل يشير إلى حُكْمٍ يقتضيه علم الله بحاجات عباده، وحيث كان السياق يتحدَّث عن فعل، قُدِّم الوصف (حكيم) والاسم (الحكيم)، وحيث كان الحديث في سياق التعليم والبيان أو إخبار عن أمور غيبية، قُدِّم الوصف (عليم) والاسم (العليم).

1- تقديم صيغة على صيغة:

الصِّيغة في اللغة من الصَّوغ:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"مصدر صاغ الشيء يصوغه صوغاً وصياغةً، وصُغته أصوغه صياغةً وصيغةً.وصيغة الأمر كذا وكذا، أي هيئته التي بُني عليها. وصيغة الكلمة، هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها. والجمع صيَغ، قالوا: اختلفت صيغ الكلام أي تراكيبه وعباراته."[85]

يقول تعالى في الآية الرابعة والعشرين من سورة يوسف:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِهِ﴾

فكيف همَّ يوسف -عليه السلام- بامرأة العزيز، وقد رفض الانصياع لنزوتها؟

قال (أبو حاتم الرازي) (ت 890م):

"كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة، فلما أتيت على قوله: (ولقد همَّت به وهمَّ بها)، قال: هذا على التقديم والتأخير؛ كأنَّه أراد: ولقد همَّت به، ولولا أن رأى برهان ربّه لهمَّ بها."[86]

إذًا في الكلام تقديم وتأخير؛ أي:

"لولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها،لطبعِ البشر."[87]

وقال (محمد الأمين الشنقيطي) (ت 1973م):

"الجواب عنه من وجهين:

الأول: أنَّ المراد بِهَمّ يوسف، خاطِرٌ قلبي صَرَفه عنه وازع التقوى، وقال بعضهم: هو الميل الطبيعي والشهوة الغريزية المزمومة بالتقوى، وهذا لا معصية فيه؛ لأنَّه أمر جبّلي لا يتعلق به التكليف، كما في الحديث أنَّه -صلى الله عليه وسلم- كان يَقْسِم بين نسائه فيعدِل، ثم يقول: ((اللَّهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك))، يعني ميل القلب.[88]

ومثل هذا ميل الصائم إلى الماء البارد والطعام، مع أن تقواه تمنعه من الشرب والأكل وهو صائم،يقول -صلى الله عليه وسلم-: ((من همَّ بسيِّئة فلم يفعلها كُتبت له حسنة كاملة)).[89]

الجواب الثاني: أنّ -يوسف عليه السلام- لم يقع منه الهمُّ أصلاً، بل هو منفيٌّ عنه لوجود البرهان(...) وهو أجرى على قواعد اللغة العربية."[90]

وبعدُ، وبعد هذا الطواف بما يسَّره الرحمن، في مبحثٍ من أهم مباحث علم المعاني،تبيَّن لنا أنَّ التقديم والتأخير في القرآن العظيم، لم يكن ضربا من الخبط والعشوائية، ولكنْ كان له ما يبرّره، وكانت له مزايا بلاغية، ودواعٍ اقتضاها التعبير أو المقام أو السياق، فكما أنَّ الساعة مثلا، ليست مجموع القطع المعدنية التي تتألَّف منها، وإنَّما هي الآلة التي تتكوَّن من هذه القطع حسب قواعد معينة، لتؤدِّي وظيفة لا تؤدِّيها أي من القطع وحدها، ولا تؤدِّيها كل القطع مجتمعة، إلاَّ إذا ركِّبت بطريقة محدَّدة، فإنَّ معنى الجملة إنَّما يتولَّد فقط من ترتيب الألفاظ والعبارات ووضعها في مكانها المناسب.

وفيما يلي أهم النتائج التي توصَّلنا إليها في هذه الدراسة:

أنَّ التقديم و التأخير ليس مجرد حلية زخرفية ترتديها جملة، ولا مجرد رغبة تتم بغير هدف، بل له غاية جمالية وبلاغية، تحافظ على موسيقى العبارة واكتمال جمالها الفني، ومراعاة التناسق بين العبارات وسلامتها وما يقتضه المقام والمعنى والسياق.

أنَّ قيمة التقديم والتأخير، ليست محصورة في استخدامه كعنصر إيقاع، إنَّما يجري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على حكمة بالغة وقدرة فائقة، في الإتيان بالمعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته.

يَظهر أسلوب التقديم والتأخير حيث حرية التصرُّف في التركيب ونظمه وطريقة بنائه، بل إنَّ إهماله وخلوّه منه، قد يجعله خاليا من روح المعنى القوي، وبعيدا عن فن البلاغة والبيان، مثلما إذا كان الكلام خاليا من النحو والقواعد اللغوية الصحيحة، بعيدا عن الفصاحة.

وفي دراستهِ كشفٌ لإعجاز النص القرآني وأسرار وبلاغته،وكما نعلم، فإنَّ أغراض النحو والبلاغة وغيرها من علوم الآلة التي وضعها علماؤنا، إنَّما كان الهاجس الأول وراءها، هو خدمة اللغة العربية، للحفاظ عليها من الدخيل والسقيم، ومما يشوب التعبير السليم، وهي بالتالي تصب كلها في خدمة القرآن الكريم، الذي نزل باللغة العربية،وما مرَّ بنا من أمثلة، يُرينا شيئاً من فخامة التعبير القرآني وعُلُوّه، وأنَّ مثل هذا النظم لا يمكن أن يكون في طوق بشر، فسبحان الله رب العالمين.

أنَّلفن التقديم والتأخير طاقة أسلوبية؛ فهو وراء الكثير من حيوية الأسلوب ورونقه، ودقَّته ووضوحه، وفصاحته.

ويبقى أنَّ موضوع التقديم والتأخير من الدراسات المتشعِّبة والواسعة، ولا يُمكن حدُّه في هذه الصفحات القليلة، فإن كنت أصبت فذلك مبتغاي، والتوفيق من الله، وإن قصَّرت، فحسبي الجُهد المخلص لوجه الحق، سبحانه نعم الوليُّ ونعم النصير.

الهوامش:

1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: د.محمد رضوان الداية و د. فايز الداية، دمشق: دار الفكر، ط1، 2008م، ص ص 70 - 72.
2) أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن مجمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط 2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م، ص 215.
3) المرجع نفسه، ص ص 271 - 272.
4) المرجع نفسه، ص 58.
5) ندى عبد الرحمن الشايع، عينية أبي ذؤيب الهذلي: معجم ودراسة دلالية، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2012م، ص81.
6) محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين االقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2003م، ص 34.
7) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: وائل عبد الرحمن، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د ت، ص 52.
8) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81.
9) يكون المسند خبرا في الجملة الإسمية والمسند إليه مبتدأ، ويكون فعلا في الجملة الفعلية والمسند إليه فاعلا.
10) نصر الله بن محمد أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1995م، ص 68.
11) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2000م، ج 3، ص 47.
12) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ج 2، ص 15.
13) المرجع نفسه، ص 15.
14) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: صلاح عبد الفتاح الخالدي وإيراهيم محمد العلي، دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1م، 1997م، مجلد 1، ص 176.
15) علماء تمكنوا من رصد ضوء كوني عمره 13 مليار سنة. تاريخ الاطلاع: 2019/6/17. http://arabic.cnn.com
16) عبد الدائم الكحيل، الإعجاز العلمي في القرآن. تاريخ الاطلاع: 2018/10/09. www.kaheel7.com/ar

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17) The Age of the Universe, Dark Matter, and Structure Formation, Colloquium on the Age of the Universe, washington dc: St, National Academies Press, 1998, p 5.

18) اكتشاف أبعد مجرة عن كوكب الأرض. تاريخ الاطلاع: 2019/6/16.
http://arabic.cnn.com

19) Klapdor-Kleingrothaus, Dark Matter in Astro- And ParticlePhysics, New York: Springer Publishing , 2003, p 13.

20) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 14.

21) محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل ابراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، مجلد مجلد 10، ص 8.

22) قاموس الأسماء و المعاني
https://meaningnames.net/of-العزيز

23) المرجع نفسه.

24) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيّم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1996م، ج 1، ص 28.

25) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيّم الجوزية، الكافية الشافية في الانتصارللفرقة الناجية (نونية ابن القيّم)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن العريفي وناصر يحيى الحنيني وعبدالله بن عبد الرحمن الهذيل، مكة: دار عالم الفوائد، 2011م، ص 418.

26) أبي جعفر محمد ين جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، مجلد 10، ص ص 17 -18.

27) حمد محمد أبو سليمان الخطابي، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، القاهرة: دار الثقافة العربية، ط3، 1996م. ص 77.

28) أبو عبد الله محمّد بن صالح بن محمَّد بن سليمان بن عبد الرَّحمن العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 6، 2000م.ص:167.

29) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمدسلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1999م، مجلد 5، ص 119.

30) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط 1، 2002م، مجلد 8، ص 186.

31) المرجع نفسه، مجلد 8، ص 187.

32) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 14.

33) الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، بيروت: دار الرسالة العالمية، ط 1، 2013م، مجلد 10، ص 555.

34) محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 5، ص 116.

35) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مجلد 7، ص 356.
وينظر: مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد أبو الحسين، صحيح مسلم، تحقيق: نَظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 1، 2006م، مجلد 4، ص 831.

36) جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غموض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 3، 1986م، ج 2، ص 331.

37) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1957م، ج 3، ص254.

38) صادق الهلالي، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد، مجلة الإعجاز العلمي، مكة: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة،ع 9 ، ص 6، د ت.

39) محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1996م. مجلد 4، ص 376.

40) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيّم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود،تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: :مكتبة دار البيان، ط 1، 1971م، ص 41.

41) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، الجامع الصحيح (سنن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الترمذي)، مجلد 3، ص 103.
42) حسني حمدان الدسوقي حمامة، حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث. تاريخ الاطلاع: 2019/05/31م.
https://www.alukah.net/culture
43) سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، تحقيق: علي بن نايف الشحود،القاهرة: دار الشروق للنشر، ط 31، 2011م. مجلد 3،ص167
44) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 2006م، مجلد 13، ص 302.
45) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيرت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1998م. ج 4، ص 13.
46) كمال الدين عبد الواحد بن خلف الأنصاري الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق:خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، بغداد: مطبعة العاني، ط 9، 1974م، ص 292.
47) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيّم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، جدة: مجمع الفقه الإسلامي، 2004م، ج 1، ص 402.
48) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 249
49) الموسوعة العقدية. شرح اسم الله تعالى: السميع. تاريخ الاطلاع: 2019/5/5.
https://dorar.net
50) كمال الدين عبد الواحد بن خلف الأنصاري الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ص ص 295 - 296.
51) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية (مجموعة مؤلفين)، الموسوعة الفقهية، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2، 1983م، مجلد 4، ص 336.
52) الرجع نفسه: مجلد 30، ص 264.
53) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، 1998م، مجلد 8، ص 403.
وينظر: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، مجلد2 ، ص 142.
54) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم النميري الحراني بن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى)، المدينة المنورة: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004م، مجلد 5 ، ص 493.
55) جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غموض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 2، ص 68.
56) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج 2، ص 56.
57) أبو عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 2019م، ص 69.
58) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1988م، مجلد 2، ص 187.
59) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، مجلد 3، ص39.
60) مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، تحقيق: أبي محمد الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2004م، ص 19.
وينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 171.
61) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيّم الجوزية، بدائع الفوائد، ج 1، ص 241.
62) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد 7، ص 91.
63) المرجع نفسه، ص 215.
64) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيّم الجوزية، بدائع الفوائد، ج 1، ص219.
65) زين محمد شحاتة، المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبد الرحمن صالح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحمود، الرياض: دار بلنسية، ط 10، 2001م، ج 2، ص 473.
66) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 15.
67) جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غموض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 2، ص 128.
68) المرجع نفسه، ج 2، ص ص 218 - 219.
69) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1997م، ص 362.
70) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 15.
71) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). مجلد 5، ص 312.
72) المرجع نفسه، مجلد 7، ص 315.
73) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 31.
74) محمد بن عاشور، تفسير العدل والاعتدال.تاريخ الاطلاع: 2019/5/13م.
https://books.google.dz
75) محمد علي الصابوني، تفسير آيات الأحكام من القرآن (روائع البيان)، بيروت: دار الكتبالعلمية، ط 1، 2006م، مجلد 2، ص 148.
76) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيّم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1، ص 162.
وينظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(تفسير السعدي)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرياض: مكتبة دار السلام للنشروالتوزيع ، ط 2، 2002م، ص 39.
77) محمدبن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد 3، ص ص 198 - 199.
78) صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربأَني، عمان، دار عمار، ط 1، 2000م، ص ص224 - 226.
79) محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد 4، ص 82.
وينظر: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، البداية والنهاية، ط1، الجيزة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 1997م، ج 3، ص 292.
80) أبي جعفر محمد ين جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، مجلد 4، ص 82.
81) المرجع نفسه، مجلد 4، ص 83.
82) محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد 4، ص 83.
83) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، مجلد 5، ص 299.
84) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيّم الجوزية،الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيّم)، ص 214.
85) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية (مجموعة مؤلفين)، الموسوعة الفقهية،، مجلد 8، ص 117.
86) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم الرازي (لتفسير بالمأثور)، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2006م ، مجلد 5، ص 112.
وينظر: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد 9، ص 165.
87) فاضل بن صالح السامرائي، التعبير القرآني، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط 4، 2006م، ص 71.
88) سليمان بن الأشعث بن اسحاق التجستاني أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط 2، 2015م، ص 213.
89) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط 1، 2002م، مجلد 3، ص 591.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وينظر: مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد أبو الحسين، صحيح مسلم، مجلد 2، ص 207.

90) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: صلاح الدين العلايلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1996م، مجلد 3، ص 58.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

القرآن الكريم.

ب- المراجع العربية:

1- ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 3، 1996م.

2- ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، جدة: مجمع الفقه الإسلامي، 2004م.

3- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن اسحاق التجستاني. سنن أبي داود، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط 2، 2015م.

4- أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، صحيح مسلم، تحقيق: نَظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 1، 2006م.

5- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم النميري الحراني،كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى)، المدينة المنورة: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004م.

6- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، البداية والنهاية، ط1، الجيزة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 1997م.

7- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1999م.

8- ابن الأثير الكاتب، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو الفتح ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، 1995م.

9- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

10- ابن قتيبة، أبو عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم تفسير غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 2019م.

11- ابن جبر، مجاهد. تفسير مجاهد، تحقيق: أبي محمد الأسيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2004م.

12- ابن أبي حاتم. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي. تفسير ابن أبي حاتم الرازي المسمى (التفسير بالمأثور)، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2006م.

13- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل ابراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 2009م.

14- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: وائل عبد الرحمن، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د ت.

15- الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، 1998م.

16- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1997م.

17- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط 1، 2002م،

18- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1996م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

19- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تحقيق: د.محمد رضوان الداية و د. فايز الداية، دمشق: دار الفكر، ط1، 2008م.
20- الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيّم.الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن العريفي وناصر يحيى الحنيني وعبد الله بن عبد الرحمن الهذيل، مكة: دار عالم الفوائد، 2011م.
21- الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيّم. حفة المودود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: :مكتبة دار البيان، ط 1، 1971م،
22- الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيّم.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت: دار الكتاب العربي، 1996م.
23- الخطابي، حمد محمد أبو سليمان. شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، القاهرة: دار الثقافة العربية، ط 3، 1996م.
24- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربأَني، عمان، دار عمار، ط 1، 2000م.
25- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. الكشاف عن حقائق غموض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 3، 1986م.
26- الزركشي،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1957م.
27- الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن خلف الأنصاري. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، بغداد: مطبعة العاني، 1974م.
28- الزجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1988م.
29- السامرائي، فاضل بن صالح. التعبير القرآني، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط 4، 2006م.
30- السامرائي، صالح فاضل. معاني النحو، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2000م.
31- السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن مجمد بن علي. مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، ط 2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407ه/ 1987م.
32- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرياض: مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، ط 2، 2002م.
33- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
34- شحاتة، زين محمد. المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبد الرحمن صالح المحمود، الرياض: دار بلنسية ، ط 10، 2001م.
35- الشاذلي، سيد قطب إبراهيم حسين. في ظلال القرآن، تحقيق: علي بن نايف الشحود، القاهرة: دار الشروق للنشر، ط 31، 2011م.
36- الشايع، ندى عبد الرحمن. عينية أبي ذؤيب الهذلي: معجم ودراسة دلالية، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2012م.
37- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: صلاح الدين العلايلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1996م.
38- الصابوني، محمد علي، تفسير آيات الأحكام من القرآن (روائع البيان)، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006م.
39- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: صلاح عبد الفتاح الخالدي وإبراهيم محمد العلي، دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1997م.
40- العسقلاني، الحافظ بن حجر. فتح الباري لشرح صحيح البخاري، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، بيروت: دار الرسالة العالمية، ط 1، 2013م.
41- العثيمين، أبو عبد الله محمّد بن صالح بن محمَّد بن سليمان بن عبد الرَّحمن. شرح العقيدة الواسطية، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط 6، 2000م.
42- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 2006م.
43- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبيان والبديع)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2003م.
44- الهلالي، صادق. الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد، مجلة الإعجاز العلمي، مكة: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ع 9، د ت.
45- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الموسوعة الفقهية، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 2، 1983م، مجلد 4، ص 36.

ت- المراجع الأجنبية:

1- Klapdor-Kleingrothaus, Dark Matter in Astro- And Particle Physics, New York: Springer Publishing , 2003.
2- The Age of the Universe, Dark Matter, and Structure Formation, Colloquium on the Age of the Universe, washington dc: St, National AcademiesPress, 1998.

ث- المواقع الإلكترونية:

1- حسني حمدان الدسوقي حمامة، حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث.
https://www.alukah.net/culture
2- عبد الدائم الكحيل، الإعجاز العلمي في القرآن/
www.kaheel7.com/ar
3- محمد بن عاشور، تفسير العدل والاعتدال.
https://books.google.dz
4- علماء تمكنوا من رصد ضوء كوني عمره 13 مليار سنة.
http://arabic.cnn.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com